دمـاء في السودان(*)

كفى فتنةً فليغمدِ السيفَ صاحبُهْ ... فـإنَّ أخاهُ اليـوم من هو ضـارِبُه
متى كان للإنسانِ من أهلِ داره ... عـدوٌ لدودٌ بـالسيـوفِ يُـواثبـه(١)
أيصرعُ فينا البعضُ بعضـاً كأننـا ... فقـدْنا عـدواً في البلادِ نحـاربُـه
وتنتَظِمُ الأهلينَ حربٌ، فكم بها ... تهاوى قتيلٌ ساكنُ العرق نـاضبه
دهتنا الليالي الحالكاتُ بغـاصبٍ ... دسـائِسُـهُ مـا تنقضي ومصـائبـه
إذا جمعَ الوادي ائتـلاف ووحدة ... مشت لاشتعال النارِ فيه تغالبهُ(٢)
ألا سائل الخرطومَ من ذا أثارها ... فسال الدمُ المهراقُ وانهلَّ ساكبه
رمتها سيوفٌ أرهفَ المكرُ نصلها ... ليُـردى بكفِّ المرءِ فيهـا أقاربـه
فكمْ من صريعٍ بـالدمـاءِ مُجلَّلٍ ... طـواهُ الرَّدى لمـا رمتـه مَعـاطُبـه
لهـا الله من مكلومةٍ طلعـوا لهـا ... بقاطعِ سيفٍ ليس تنبو مضارِبُه(٣)
وصبَّحهـا بـالمشـرفيـةِ والقنـا ... أخو حسدٍ باغٍ تدبُّ عقـاربُه(٤)
أثـارَ بيـومِ الحفـلِ مـذبحـةً إذا ... رآها وليدُ المهدِ شابَتَ ذوائبه(٥)

(*) كان المقرر يوم الاثنين أول مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤ أن يفتتح أول برلمان سوداني لولا تلك المذبحة الدامية التي دبرها الاستعمار وأعوانه.

(١) كان البيت في الأصل:

متى كـان للإنسـان من أهل داره ... عـدواً لدوداً بـالسيـوف يـواثبـه

(٢) كناية عن المكر والمؤامرات التي تصنع للفرقة وإراقة الدماء.

(٣) تنبـو: من نبا بمعنى تجافي وتباعد، ونبا السيف ينبو، إذا لم يعمل في الضريبة ولم يقطع.

(٤) المشرفية: سيوف تنسب إلى قرى من أرض العرب تقرب من الريف.

(٥) الذوائب: جمع ذؤابة وهو مقدمة شعر الرأس.

فما راعها والبشرُ في مِهرجانِها ... تسيرُ بأرجاءِ البلادِ ركائِبُهُ
سوى الهولِ منْ جيش العبيد يلفها ... بأيمانِهِ أرماحُه وقواضبُه[1]
وما زال يسقي أهلها حامل الردى ... فيشربُ كأسَ الموت من هو شاربُه
إلى أن تراءى الليلُ أسوانَ قاتماً ... كأن حدادَ الثاكلاتِ عناهبُه[2]

* . * . * . * . *

أرى ذلك المحتلَّ أشعلَ نارها ... وأنَّ يد الأنصارِ فيها مخالِبه[3]
وباتَ لها المهديُّ يذكي أُوارها ... على الحقدِ إذ ضاقتْ عليه مذاهبه
صنيعةُ الاستعمارِ ما أنت بالذي ... على ذلك الجرمِ الشنيع تعاتبه
أهجتَ لنا ناراً تلظَّى وفتنةً ... لها الظفرُ لا ينفكُّ في العنقِ ناشبه
وما زلت للمحتلِّ حتى تحققتْ ... بحدِّ الظُّبا أطماعهُ ومآربه
زحفتَ على الخرطومِ ، بالله نبني ... أكان بها «غوردونُ» جئت تحاسبه[4]
لعلَّ خداعَ القومِ أنساكَ نَبشُهم ... لقبرِ أبٍ حرٍ تسامت مراتبه
أبوكَ فتى الإقدام والعزم من إلى ... سماء العُلا والمجدِ سارت مواكبه
أولئكَ تدري أنَّهم ـ بعد موته ـ ... قد امتهنوا قبراً سقته سحائِبُه
وباتَ هناك الرأس ـ رأسُ أبيكَ ـ في ... متاحفِهم بالذمِّ يرميه عائبه
فإنْ تكُ يوماً حامل السيفِ فليكن ... من القومِ هذا الثأرُ ما أنتَ طالبه
ذكرتُ أباكَ القرم حين انبرى لهم ... وحين دهتهم في البلادِ كتائبه[5]
وما كانَ منْ مجدٍ له بالغِ الذُّرى ... تليدٍ فإنَّ السيفَ بالدَّمِ كاتبه
ظننَّاك تمضي في تَتبُّعِ خطوِهِ ... ولكنَّهُ مجدٌ نأى عنك ذاهبه

---

(١) قواضب : جمع قاضب. وهو السيف القاطع.
(٢) أسوان : بمعنى حزين.
(٣) الأنصار : هم جماعة الأنصار التي كان يرأسها المهدي في السودان.
(٤) غوردون: اسم المندوب السامي البريطاني والقائد العسكري في مصر والسودان.
(٥) القرم : السيد المبجل. وأصل معناه للبعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة.

وكنتَ على الأهلين حرباً طحونةً ومصـدر شرٍ ليس يُؤمنُ جـانبـه
تُحـالفُ أعـداءً وتقصي عشيـرةً إذاً قدْ تولَّى عنك في الفكر ثاقبه
ركبتَ لهـذا الأمرِ أخـطرِ مَركبٍ على أنه لم تخفَ عنك عـواقبه
رأى فيكَ الاستعمارُ روحاً وضيعةً تـعـاونُـهَ حتى تَتـمَّ رغـائِبُـه
فأصبحت للمحتلِّ كفـاً وساعـداً لينعبَ فينـا بـالمكيـدةِ نـاعبـه
فكان له مـا شاءَهُ من دسـائسٍ تُـدبِّـرُهـا أهـواؤهُ ومشـاربـه

* . * . * . * . *

إلا إنَّ الاستعمار قد كانَ باغيـاً علينا، وإن الحقَ لا شكَّ غالبه
وكـلُّ الـذي آوى إليـه نعـدُّهُ عـدواً لنـا بينَ البـلادِ نُجـانبُـه
وسوف يرى الشعبُ الذي هب ثائراً أخـا ثورةٍ حتى تُجـاب مَـطالبـه

* . * . * . * . *

فإنْ كانَ يا ابن النيلِ رمحك ظامئاً فـأوردْهُ محتـلاً تـوالتْ نَـوائبـه
ولا تُـلقِ بـالاً للوعـودِ فـإنَّـه كعهدك فيه مخلفُ الوعدِ كـاذبه
ولنْ يترُكَ الشطرينِ عنْ طيب خاطرٍ لأهلهمـا أو يَترك الضـرعَ حالبـه

* . * . * . * . *